النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

عودة ((الرسالة)) و ((الثقافة))

لمراسل ((الاداب)) في القاهرة

* * *

اخيرا عادت الى الظهور مجلة الرسالة ومجلة الثقافة ، وذلك بعد ان توقفت المجلتان حوالي عشر سنوات ، وكان ذلك في بداية الثورة .

وكانت ظروف توقف المجلتين في ذلك الحين عديدة ، وكان على رأس هذه الظروف ان عصرا ادبيا جديدا بدأ في شكل تيار عنيف ، وكان هذا العصر يختلف فيكثير من الامور عن المفاهيم الادبية والفكرية التي تحملها الرسالة والثقافة ، لقد كان العصر الجديد عصرا يميل الى الادب الواقعي الذي يهتم بمشاكل المجتمع وبالصراع الاجتماعي ، وكان الفكر الجديد يميل الى هذا الجانب نفسه ... كان فكرا يبحث عن جذور المشكلة الاجتماعية والعلاج الذي يمكن ان يقدمه لهذه المشكلة .

ولعل هذا الموقف يتضح اذا ماعدنا الى واقع تلك المرحلة .. في السنة الاولى للثورة او ما قبلها بقليل ، لقد بدأت جميع الاجهزة القديمة نفسها تشعر بالمشكلة شعورا حادا ، فحزب الوفد ((الذي تحول قبل الثورة الى حزب اقطاعي وبورجوازي في نفس الوقت)) ظهر فيه جناح يساري عنيف يطالب بالتغيير الاجتماعي ويطالب بنظرة شاملة جدية الى مشاكل الطبقات الشعبية ((ومن اعلام هذا الاتجاه اليساري الدكتور مندور والمرحوم الدكتور عزيز فهمي بل والدكتور طه حسين نفسه الذي تبنى بقوة قضية مجانية التعليم ورفع شعار العلم كالماء والهواء)) .

بل ان الاحزاب الرجعية مثل الاخوان المسلمين ظهر فيها تيار يساري ايضا ، وكان هذا التيار يحاول بقوة ان يؤكد النزعة الاشتراكية والثورية في الدين الاسلامي ، وفي هذه الفترة ايضا ظهر كاتب مثل خالد محمد خالد ... الذي ولد ـ ككاتب ـ في ضجة ضخمة عاليه ، لانه اتجه بكتاباته الى تحطيم الاوضاع التي كانت قائمة في ذلك الوقت وعلى رأسها الاقطاع والافكار الرجعية التي تسانده .

هذه أمثلة ليست هي كل الامثلة التي ظهرت في واقعنا الفكري في تلك المرحلة ، والتي هزت الاوضاع القديمة هزا عنيفا ، وأثرت على جمهور القراء تأثيرا قويا ، فبدأ يتطلع الى عالم جديد ونماذج جديدة من الفكر والفن والادب .

انها مجرد نماذج من الواقع الجديد الذي ظهر ومهد لاغلاق الرسالة والثقافة سنة ١٩٥٢ ، فقد كانت هاتان المجلتان بعيدتين عن تمثيل أي فكر ثوري من هذا النوع ... لقد كانتا مجلتين محافظتين تمثلان الفكر المستقر الهادىء ... الفكر المحافظ .

وفي خلال هذه البدايات العنيفة قامت الثورة وبدأت تواجه عمليا وبقوة مشكلة المجتمع ... حيث اتجهت بحزم وبلا تردد الى القضاء على الاوضاع القديمة الفاسدة .

وفي هذا الجو توقفت الرسالة والثقافة . وكان من الواضح ان المجلتين قد فقدتا قدرتهما على التلاؤم مع الواقع الجديد .

فقد ظهرت المجلتان في عصر خاص وقامتا بدور خاص. وكانت ابرز معالم هذا الدور : احياء الثقافة القديمة ودراستها دراسة عصرية ، وقد قامت المجلتان في الحقيقة بدور كبير في احياء الكلاسيكية وتخليصها من الغبار المتراكم فوقها ، فقد ساهمت المجلتان في دراسة الادب القديم والفلسفة القديمة ، بل وساهمت المجلتان مساهمة فعالة في دراسة الدين الاسلامي دراسة عصرية تخضع لمناهج علم النفس وعلوم التاريخ والاجتماع وغير ذلك من المناهج الجديدة ، وقامت المجلتان بخلق نوع من الصلة بين الثقافة الغربية والثقافة العربية ، واستوعبت المجلتان ايضا حركة الشعر الرومانسي الى جانب حرصهما التام على الشعر التقليدي في شكله ومضمونه .

وخلاصة الدور الذي قامت به المجلتان هو احياء الكلاسيكية والحرص على تقاليدها الفكرية واللغوية ثم الاهتمام اهتماما ((عاما)) بالثقافة الغربية والاشكال الجديدة في الادب مثل القصة والمسرحية .

وقد ادت المجلتان دورهما الكبير في هذه الحدود ... وعلى الاخص مجلة الرسالة التي كانت اطول عمرا واكثر تأثيرا .

والمجلتان تعودان الى الحياة اليوم وبعد عشر سنوات من التوقف وخلال هذه السنوات حدثت تغيرات في الفكر والادب ، واصبحت وظيفة المجلة الادبية مختلفة تماما عن وظيفة المجلة التي كانت منذ عشر سنوات . فهل راعت المجلتان هذه الحقيقة ؟... هل كان هناك حساب لاختلاف الزمن واختلاف الظروف ؟

الحق ان المجلتين في حاجة الى مزيد من الجهد لكي يكونا تعبيرا حقيقيا عن المرحلة الادبية والفكرية الراهنة .

ففي السنوات الاخيرة حدثت هذه التغيرات الهامة التي لايمكن الابتعاد عنها او عدم الاعتراف بها :

اولا : ظهر الاهتمام الواسع بالادب الشعبي والفنون الشعبية ، واصبح في كلية الاداب كرسي للادب الشعبي ((يشغله الان الدكتور عبد الحميد يونس)) ، واصبح للدراسات الشعبية اهمية كبرى في هذه المرحلة من تطورنا الفكري ، بل اكثر من هذا ظهر عندنا عدد كبير من الشعراء الذين يكتبون بالعامية كتابات على غاية من الاهمية ، كل ذلك يقتضي الاهتمام بالادب الشعبي ودراسته ونشر نماذجه الجديدة .

ثانيا : اصبح للدولة نفسها ـ بعد الثورة ـ اتجاه فكري واضح ، فهي دولة اشتراكية عربية ، ولذلك فان الاهتمام بالدراسات الاشتراكية والعربية يجب ان يكون واضحا كل الوضوح ، فالاشتراكية هي النظرية التي نسير على ضوئها ، كما ان الاتجاه العربي اصبح اصيلا في خط سير الدولة .

والمفروض ان تكون الدراسات التي تظهر في مجلاتنا موجهة ـ بوعي وفهم عميق ـ توجيها اشتراكيا ، سواء في اختيار الموضوع او في المنهج ، فيجب على سبيل المثال ان تكون الدراسات الخاصة بتاريخنا القديم قائمة على أساس جديد ، فالذين يدرسون الحروب الصليبية مثلا على انها حروب دينية فقط يقعون في خطأ كبير ، لانهم ينظرون الى هذه الحروب من الخارج ، وينظرون اليها نظرة شكلية ، فالمسألة في حقيقتها كانت اعمق بكثير من هذا المظهر ، لقد كان للصراع جوانبه الاقتصادية ، وجوانبه الحضارية ، وجوانبه السياسية وهكذا يجب ان تكون النظرة الى التاريخ في كل جوانبه وحتى تاريخ الاسلام يجب الا تقتصر بحال من الاحوال على الجانب الديني ، فالاسلام نفسه كان دينا وكان في نفس الوقت ثورة اجتماعية واقتصادية ، ويجب ان نفهم

هذه الجوانب ، ويجب ان ندرسها بوضوح ، لان الوقوف عند الجانب الديني فقط ، يجعلنا نفقد الكثير من الحوافز الحية التي يمكننا ان نخرج بها اذا ماعدنا الى تاريخنا ونحن مزودون بنظرة اشتراكية ومنهج اشتراكي .

اما من الناحية العربية ، فمن الواضح ان « التجربة العربية » بشكل عام لم تلق حتى الان الدراسة الكافية ، والتي يجب ان نقوم بها على اوسع نطاق .

فتاريخ العرب الحديث تاريخ منفصل عن بعضه ، ولا يكاد ابناء المغرب العربي يعرفون تاريخ المشرق العربي ، والعكس ايضا صحيح ،كما ان التاريخ العربي الحديث على وجه الخصوص تاريخ مجزأ منفصل عن بعضه فهناك تاريخ مستقل لمصر ، وتاريخ مستقل للشام وتاريخ ثالث للعراق ، وهذا التاريخ المنفصل المجزأ يجب ان يعاد النظر اليه ... ولا بد ان يكون هناك منهج لدراسته كوحدة كاملة متصلة لا منفصلة ، فلقد كان هذا الانفصال في دراسة التاريخ ناتجا عن الانفصال القائم بين اجزاء الوطن العربي ، وناتجا عن اتساع هوة الانفصال بين هذه الاجزاء . اما الان فقد اصبح الاتجاه الصحيح واضحا ، وهو اتجاه الوحدة الكاملة الاصيلة ، مما يتطلب دراسة تاريخنا العربي على ضوء جديد .

ثالثا : اصبحت هناك اتجاهات جديدة في الادب والفن ، وازدهرت اشكال جديدة فيهما .. واصبح من المطلوب ان تعكس المجلات الجديدة ـ اذا ارادت ان تكون معبرة عن حياتنا الادبية ـ هذا الواقع . فالشعر الجديد اصبح قضية اساسية من قضايا حياتنا الادبية الجديدة ،وأي اهمال او تجاهل لهذه الحركة الشعرية معناه الاهمال والتجاهل لجانب اساسي هام من جوانب حياتنا الادبية ، فقد اصبح من الواضح اليوم ان الشعر الجديد هو التيار الفني الرئيسي الذي تدور حوله الحركة الشعرية كلها .

اما الالوان الجديدة التي ازدهرت في حياتنا الادبية فيقف المسرح على رأسها ، لقد كان المسرح قبل الثورة فنا محدود التأثير والاتساع ، اما الان فقد اصبح فنا جماهيريا الى ابعد مدى ، واصبح عندنا فئة من كتاب المسرح يعتبرون من طليعة الادباء ويقفون في مقدمة الجيل الجديد ، كذلك اصبح التلفزيون واصبحت الاذاعة من الوسائل الفنية التي تستخدمها فئة كبيرة من الكتاب ، وتتأثر بها نسبة عالية من الجمهور .

كل هذه الاشكال الفنية تحتاج الى متابعتها ودراستها ، وتحتاج الى الوان جديدة من النقد الذي يعرف اصولها ومشاكلها ليستطيع ان يناقشها ويكون له فيها رأي .

هذه الامور الثلاثة هي امثلة للتغيرات التي حدثت في حياتنا الفكرية والفنية والادبية خلال السنوات العشر الاخيرة . وهي التغيرات التي كان المفروض على مجلة الرسالة ومجلة الثقافة ان تعكساها عندما صدرا من جديد .

فليس بالامكان اليوم ان نقبل هاتين المجلتين على صورتهما القديمة تماما ، وعلى منهجهما القديم .

فهل حدث التغير المطلوب في هاتين المجلتين ؟

الحقيقة انه لم يحدث الا على نطاق ضيق . فليس في المجلتين من الناحية السياسية مثلا دراسات عن المشاكل العربية التي يعيشها العرب اليوم ، ليس هناك دراسات عن الاكراد ، او عن التعريب في الجزائر ، او عن التنظيمات الثورية التي يجب ان ندرسها وتهتم بها مثل جبهة التحرير الجزائرية او غيرها من المنظات ، ليس هناك دراسات لبرامج الثورات المختلفة ، فهناك ميثاق ثورة ٢٣ يوليو وهناك برنامج طرابلس وهو ميثاق ثورة الجزائر ... لم يحدث ان اهتمت المجلتان بدراسة مثل هذه المشاكل او النصوص السياسية القائمة في الوطن العربي .

ومن الناحية الاخرى نجد ان المجلتين توصدان ابوابهما بشكل واضح في وجه الشعر الجديد ، كذلك لايوجد اي اتجاه في المجلتين لدراسة الادب الشعبي او نشر نماذج منه والعناية بتقديم هذه النماذج وتفسيرها ، اما من ناحية الاشكال الفنية الجديدة فالاهتمام ـ في المجلتين ـ بالمسرح مثلا محدود ، رغم ان مسارحنا قد تضاعفت خلال السنوات العشر اربع مرات تقريبا ، ورغم كثرة المسرحيات التي تقدمها هذه المسارح ، اما التلفزيون والراديو فلم تقترب احدى المجلتين تقريبا من أي دراسة تتصل بهما .

قد تكون ظروف الحياة الادبية في بعض الجوانب صعبة ... فنحن نجد مثلا قلة نقاد السينما والمسرح والتلفزيون والراديو . ولكن هذا لايجوز ان يقف عقبة في سبيل تطور المجلتين حتى يكونا تعبيرا حقيقيا او قريبا من الحقيقة عن حياتنا الادبية والفنية والفكرية الجديدة .

يجب ان يكون هناك منهج تسير عليه المجلتان ، على ان تستكمل المجلتان بمرور الوقت ماينقصهما في سبيل تطبيق هذا المنهج تماما ، ويجب ان يكون هذا المنهج مدروسا دقيقا واضحا ... يجب ان يكون نابعا من حاجاتنا الفكرية والادبية والفنية الجديدة ، والا فان المجلتين ستبتعدان عن واقعنا الادبي ، وتعجزان عن ان تكونا المرآة للحياة الادبية الجديدة كما كانتا في الماضي مرآة للعقل العربي خلال ربع القرن السابق على ثورة ٢٣ يوليو تقريبا .

الاشتراكية والأدب

ومقالات أخرى

تأليف

الدكتور لويس عوض

دراسات معمقة عن النزعة الاشتراكية
كما تبدو في آثار اكبر الكتاب العالميين

صدر حديثا عن دار الآداب

الثمن ٣٥٠ ق.ل